عيون الكبرياء

عطية صالح الأوجلي

قصص

الإهداء......

إلى أسرتي..

إلى أصدقائي....

وإلى أحبائي أينما كانوا.

حسن يوسف المويشي

الرجل الشجرة..........

"ويل لمن لا يرى سوى الأقنعة"

كازانتزاكس

لم أكن أعرف إي شيء عنه.
لا أسمه ، لا عمله ، لا أين يسكن .... أو إي شيء أخر
فقط كنا نلتقي صباح كل يوم عمل في الباص 216.
نهبط معا في محطة وسط المدينة ...أسارع الخطى نحو عملي .
يتأنى هو في مشيته متجها نحو ناصية شارع جرانت حيث يقف هناك يتطلع فيما يبدوا إلى بقعة في الجدار.
أغادر عملي الخامسة مساء.
أقف على الناصية المقابلة لانتظار الحافلة ..
الرجل لازال هناك واقفا كالأشجار.
تلك كانت البداية.
....

أحد ما قد غرس الرجل في هذا المكان.
لم يكن يتحدث لأحد ولا أحد يتحدث إليه...
اعتاده المارة كما يعتادون البنايات و الأشجار.
لم نكن نعرف أسمه .
لم يكن في ملامحه ما يميزه فأطلقنا عليه لقب الرجل الشجرة
مع مر الأيام أصبح معروفا لدينا بالشجرة.
كنت عند هبوب الرياح أتخيل رعشات أغصانه وفي الخريف تناثر أوراقه.
....

لم يكن يتحرك أو يبتسم أو حتى يتحدث .
يماثل شجرة الصنوبر في الطرف الأخر من الشارع.
هل فقد شيئا ما ......هل يبحث عن شيئا ما ....؟
سألت صاحب البقالة المجاورة. قال لي وهو يدعك مؤخرة رأسه..... " لا أحد يعلم .. منذ حوالي ستة أشهر جاء..ولم يتحرك من هنا .. لقد تعودنا عليه ..... صدقني تمضي أيام كثيرة أمر بجواره ولا أحس بوجوده .. ستعتاده أنت الأخر".
لم أعتاده .. استفزني بوجوده .. ما الذي يفعله هنا؟
"ربما يمارس رياضة روحية " قال زميلي في العمل.

هل هو من رجال الله؟...... سألت.
....

تخيلت أن الطيور تطعمه الحَب.
وأن الأرض تسقيه الماء.
تساءلت.....
ماذا يعمل حين تُمطر؟....
أو حين تهزه بقسوتها الرياح ؟
هل يسأل عن أحد؟
هل يسأل أحد عنه؟
ثم ...... ثم كيف يقضى حاجته؟.....
....

"يقال أنه قد فقد ابنته الصغيرة في نفس الموقع. ومن ذاك اليوم وهو يتطلع إلى بقعة الدم بالجدار"
قال سائق الحافلة ....يقال ......
....

ماذا يفعل عندما يغادر المكان؟
هل لديه بيت؟
زوجة ..أخوة ..أبناء....جيران...
اللعنة...لقد أصبحت مسكوناً به.
ماذا لو كان أصل الإنسان شجرة؟؟..
وهل توجد القردة إلا بين الأشجار؟

"لماذا تشغل نفسك بهذا الرجل ؟" قالت زوجتي .. "تذكر نحن غرباء هنا ولديك طفلة صغيرة..فأنتبه لعملك ودع الناس وشأنهم."
و...........
....

قررت أن أبقى بعد انتهاء عملي .. أراقب الرجل علّـــي أعرف متى يغادر المكان ، والى أين يذهب.
أبلغت زوجتي بأن لدي عمل إضافي وأنني ســـأتأخر .
سرت لذلك ......فهذا يعني دخلا إضافيا ..... قهرنـــي الشعور بالذنب ....ولكن.....
مرت ساعات طويلة من المساء وقطع من الليـــل.......
والرجل لا يتحرك ...
هذا مستحيل ...!........ لا بد له من الذهاب هنـــا أو هناك ..
لا يتحرك ....
لململت أشتات هزيمتي وعدت مع أخر باص ينطلق من وسط المدينة
طالعته من نافذة الباص ...واقف هناك كالأشجار.
لا يتحرك....
أصبحت أكره الشجر ...سأقتلع شجرة يوما ما...
....

أخبرت زوجتي بما حدث ....

لم أصدق ردة فعلها.
هستريا من البكاء .. والألم ... والصياح
حتى الصغيرة شاطرت أمها الصراخ ..
هل جننت أنت ؟..... صاحت .
وهل من الجنون أن نهتم بالأشجار؟؟؟... قلت.

....

استدعاني لمكتبه ....
"أسمع يا ابني...."... قال رئيسي بصوت وقور
" كنت من المتفوقين في عملك..... ولكنك مؤخرا كثير الشرود... هل من مشاكل مع زملائك..مشاكل في البيت .. مشاكل مالية ...."
ثم أردف بعد سكون ...أم هو ...الحنين إلى الوطن ....؟
كيف لي أن أساعدك..؟..سألني...
شكرت له اهتمامه ... ووعدته خيرا......
قبل أن أخرج من مكتبه .... قال لي ...
ثم... ما قصة رسومات الأشجار التي تملأ مكتبك...؟
....

انقطعت عن الذهاب إلى العمل...
تجنبت وسط المدينة.
بقيت في البيت إحدى عشرا يوما .

لم أغادره مطلقا.
لم أحادث أحد.
فقط أطالع بقعة في جدار المطبخ.
....
في اليوم الثاني عشر......
غادرت زوجتي وطفلتها المنزل دون أن تودعني.
حلمت تلك الليلة بغابة من الأشجار تحتفي بي
....
علمت أنني سأموت متأملا الأشجار.

لوس انجلوس 1987

الرحلة...

(1)

دارنا العتيقة والباردة ، كانت على غير عادتها ، تتوهج من الدفء. رائحة البخور تنبعث من كل مكان لتختلط بدفء المشاعر وبسرد الذكريات والتساؤل والانبهار. الكل يتأمل ويسأل ويتحدث.

الأعين ، الأيدي ،الأنفاس ، المشاعر.. كلها تتدفق وتتقاطع لتخلق ألفة لا يعرف لذة طعمها إلا من شد الترحال إلى غربة .. ثم عاد لأجبابه.

البيت .. في حالة استنفار شامل .. حلويات، شاهي، قهوة .. فطور، غداء، عشاء.... سيل لا ينقطع من المودة والحبور. أمي تجلس على كرسيها العتيق جوار النافذة .. تلازمني عيناها أينما تحركت وكأنها تخشى أن تطرف فأغيب. أبى في قمة الانتشاء والافتخار ، أبنه "الدكتور" الذي يعمل بالخارج قد عاد . يسترق النظرات بعيون ارتسمت فيها رقة وباحت بالابتسام.... أخي الصغير الذي لم أشهد ميلاده .. يطبق بيديه اليافعتين على يدي اليسرى بقوة.

هكذا هي الحياة ..النشوة في الغربة ... والأمن في الألفة ...

وحده لم يأتي ... وإن كان معي ، يسكنني منذ رحيلــي الأول ..
أنه شيخي .....

(2)

الجامع العتيق .. بقبابه الطينية . يتنسم عبق التاريخ... تخفق نبضاته عند كل فجرٍ.. فيؤم الجوامع .. وينسـج معها ترانيم عشقٍ إلهية تردد صداها زقزقة العصـافير وصياح الديكة .. كل العصور مرت من هنا .. وحدها باقية هذه القباب .. وباقي أنت يا شيخي..
سألته..
مولاي
قلبي يريد "النور"
عقلي يستجدي "المعرفة"
فدلني .....
فالدروب فقد استعصت علي...
و " سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أمْرًا".
فقال وهو مطرق..
"أصمت لينطق قلبك. أغمض عيناك لترى...و لا تبحث لتجد"

(3)

قبلت يده الكريمة وجلست جواره وسألته...
من نحن يا مولاي..؟
قال بهمس مسموع وعيناه تتبسمان..
- نحن .. الأشياء كلها .. ونحن... لا شيء
نحن الشيء وضده
نحن الحقيقة و الوهم
نحن الحياة والعدم
نحن الفجور والتقوى
نحن نور لا نراه إلا إذا أغمضنا
فهل ثمة ضوء لا ينبع من العتمة؟......
وقال:
"هناك أمور لا تستطيع أن تتعلمها بالكلمات ولكنني سأحاول...
رجل ذهب للنوم .
فحلم بأنه فراشة تطير ..
تلهو بين الأشجار والنباتات ..
يغازلها النور فتقترب جذلانة متراقصة ..
يداعبها الهواء فتأنس في كفيه الحانيتين ..
انغمس الرجل في رقصه...
انغمس حتى نسى نفسه..
وعندما استيقظ في الصباح لم يعد يعلم..

هل هو رجل كان يحلم بأنه فراشة أم أنه فراشة كانـــت تحلم بأنها إنسان ؟"
فهل تعلم أنت من أنت ؟
غادرت خلوة شيخي ...
وفي الصباح التالي ..
رحلت يا مولاي ..
قدرت أن بُعد المسافات يجلـــي البصـــر.. وأن غيـــاب المألوف ينير القلب
و أن الغربة ستهدى لي معارفها..فرحلت .
و عرفت مشقات قاسية ومكابدات عسيرة ..
سنوات أنقضت ...
احترقت فيها بالتساؤل ..
وأدمنت خلالها التأمل ...
وعرفت أن القرب في البعد
وأن شدة الظهور الاختفاء..
كل ما لاح طيفه ..دعوت له بالسلام والرحمة..
وتذكرت قوله ...
" كل مواعظ الأرض لن تدلك على حقيقة لازال قلبـــك غافلا عنها .
فأصمت لينطق قلبك. وأغمض عينـــاك لتـــرى...و لا تبحث لتجد"

أوجلة 1994.

سيد الموقف.....!

أختلط ضجيج الازدحام بصوت المذياع وامتزجت نداءات الباعة بزعيق نادل المقهى لتشكل لوحة صوتية تشع الأمن والدفء وتقلص الشعور بالوحدة الذي يمزق القلوب بأظفاره الحادة. حلقات الدخان الكثيف تتسابق نحو السقف العتيق دون جدوى ودون انقطاع. غصت في مقعدي المعتاد، التقطت شفتاي لفافة تبغ بينما جالت عيناي بحثا عن أثر لجريدة أو مطبوعة تركت لوحدها. رائحة القهوة تداعب أنفي. أبحث عن النادل الذي لا يعيرني اهتمام.... يداه تعبثان بمؤشر المذياع بحثا عن محطة... أزيز..تشويش..... ضجيج..... "أجيب منين عمر يكفى".... تترنم المطربة... تخيلت طوابير أمام معمل أو متجر لبيع الأعمار الإضافية..
– والنبي "عُمْر ونص " من النوع الممتاز بس وحياة أبوك تلفه كويس.. ده عشان الست بتاعي...
– ما ألقيش عندك..." عُمْر....بس يكون " نص " عُمْر "...

دوت ضحكتي.... اهتز بدني. نظرة استنكار من البدين ذو اللحية.... كدت أقول له نحن في مقهى يا هذا ولسنا في بيتك.... ولكنني آثرت السلامة.

النادل بإصرار يبحث عن محطة... أزيز .. تشـــويش .... جلبة ...

– " لازال التعادل هو سيد الموقف في هذه المبـــاراة" .... آه كم أكره مثل هذه الكلمات.. "سيد الموقف".. إنها من النوع الذي لا يـــرحم.. تلتصـــق بالـــذهن وتـــأبى مغادرته.. تلف..تدور... كنحلة في برطمان. لا وسيلة "لإنقاذ الموقف" سوى إنهاكها بسرعة الإستعمال....

– الله ســـــيد الموقـــــف فـــــي الكـــــون.
– أمريكـــا ســـيدة الموقـــف فـــي العـــالم.
– زوجتي سيدة الموقف في البيت.. مهلا..أنا..لم أتزوج بعد.. وجدت العروس ولم أجد الأسباب. قالوا لي تزوج لترضى عنك الست الوالدة....... هذا سبب وجيه حقـــا لورطة العمر....!. ولكن والدتي ماتت رحمها الله مـــن زمان. هـــا...تخلصت أخيرا من "ســـيدة الموقـــف". اللعنة..... أنها تلتصق مرة ثانية.... القهوة تتجول مـــع رائحتها قرب الأنوف.

يدخل شاب إلى المقهى، يبدو لي وكأنه...."سيد الموقف". نحيف،كثيف الشعر والنظارات،يحتضن مجموعة من الأوراق بينما يتدلى من أصابعه قلم حبر. يتمهل بحثا عن مقعد،يجلس وينـــهمك في الكتابة. الكتابة حدث غير مألوف في هذا المقهى. استرعى

اهتمام الآخرين، كل "سيد" يحاول في أعماقه أن يفسر هذا " الموقف" .... نطقت عينا الأول....
"هذا الشاب يبدوا غريبا عن البلد، وهو لا ريب يكتب رسالة لآسرته ".

أسر الثاني في نفسه ....
"هذا الشاب بدون شك عاطل عن العمل، ويبحث عن وظيفة ما............ و هو يكتب الآن طلبات إلى جهات الاستخدام "
رائحة قهوة محروقة... يبدو أن " شوام "...من رواد المقهى..........
تحدث الثالث في صمته:
".. لا ريب أن هذا الشاب يكتب قصائد عاطفية.. أنا اعرف هذا النوع جيدا".

همس الرابع لرفيقه بينما ظلت عيناه تراقبان الجميع :
" أكيد يكتب في تقرير في عباد الله ،..... ناس "معادش" ترحم في بعضهـــــــــــــــــا...".

حدث السادس نفسه :
" هذا باين عليه من تجار الشنطه..ويكتب في طلبيه قبل ما يسافر..".

نـــــهض "السيد". ترك ثمن القهوة وغادر تاركا أوراقه وراءه. انتبه النادل لما حدث، أنتزع حزمة الورق

وخرج يعدو وراء الشاب. لم يتمكن من الوصول إليه.... فعاد... تأمل الأوراق.... امسك بالقلم محاولا الكتابة به. ثم قال بصوت عال:

" أما ناس دايخة.........
القلم ما فيش حبر...........
و الأوراق.......... فاضيه...".

سوسة 1992

صوت الناس

"أنا لست صوتا لمن لا صوت لهـم . الناس ليسوا بلا

صوت . . نحن صـم . نحن لا نسمعهـم ."

أرييل دورفمان

الجنرال والقرد

سبتمبر 1973
كانت أشعة الشمس تتسرب من خلال ثقب في الستائر السوداء الجاثمة على نوافذ الغرفة لتغزل خيوطاً من النور تعكس أضواء خلابة في كوب الماء القابع على طاولة سوداء اللون في الزاوية اليمنى من هذه الغرفة.... لماذا يصر الجنرال على استقبالنا في هذه الغرفة المقيتة..؟.... الغرفة واسعة أعدت من قبل قيادة الثكنة لتكون مكتب للاستقبال وغرفة للأكل. يتوسط الغرفة مكتب رصاصي اللون تناثرت عليه عدة هواتف، أجهزة اتصال، جهاز تسجيل وبعض الملفات. عدد من الكراسي تتوزع في المكان دونما انتظام. رائحة الرطوبة والغضب تملأن الغرفة فيما تزين أحد جدرانها صورة بالية لأحد أباطرة روما.

كنت واقفا في انتظار أوامره. وكان هــو واقفــا أمــام مكتبه. الصمت المعهود الثقيل الذي يسبق الأوامر الحادة خيم على المكان.
ألمح بطرف عيني الألوان التي ما زالت تتراقص فــي الكوب. وبطرف العين الأخرى أراقب انغماسه الكلــي في فحص الصورة الملقاة على مكتبه.
الرائحة اللعينة تطبق على أنفاسي.
الوقت يمضي مرهقا ومملا...
أنا في وقفتي .. والجنرال في تأمله....
دونما صوت انساب جسمه ليسقط على كرسيه.
مضى دهر.. وأعقبه أخر والسكون المطبق لا يقطعــه سوى ثقل أنفاس الجنرال المنهمك في التأمل.
يبدو من بعيد كعاشق ولهان أو كعابد متصوف.
تخيلت روميو جاثما على ركبتيــه... كتمــت ابتســامه لاحت في أفقي.
فجأة دفع كرسيه للخلف وارتمى بظهره على الكرســي وعيناه تثقبان السقف العاري إلا من ثريا صغيرة بائسة.
حرك رأسه مرتين ثم أنحنى للأمام. مــد يــده ليلــتقط الصورة. قربها من وجهه حتى غطت ملامحه.... نفــذ صوته من الصورة... تيبس جسمي وتبعثرت حواسي.
- ماذا يريدون مني..؟...ماذا..؟ قال هادراً..
بالطبع لم أرد.
كنت أعرف أنه يفكر بصوت عال ولا ينتظر ردا مــن أحد...

أبعد الصورة عن وجهه ورماها نحو الملف الملقى على مكتبه.
لماذا يفعلون ذلك بي ؟.. لقد فعلت لهم كل ما يريـدون وأكثر ..!
لماذا يتركون هؤلاء القردة يهاجموننا في جرائدهم..؟
تكاثرت قطرات العرق على وجهه. أستند بيديه الاثنين على حافة المكتب .. دفع رأسه ببطء إلى أعلى....
التفت نحوي ونظر إلي وكأنـه الآن فقـط قـد أحـس بوجودي..
– خذ هذا الملف إلى الكولونيل أسكوبار .. أعلمه بأمر هذا القرد .. أخبره أن أمر هذا القرد يهمني شخصيا..
تحركت لالتقاط الملف.. رمقت عيني كوب المـاء .... غابت الألوان عنه.
حييته واتجهت نحو الباب المغلق. قبل أن أمد يدي لفتح الباب، استدرت و حييته مرة أخرى..
لم ينتبه .. لانشغاله بشرب كوب الماء.
خرجت متجها نحو الباحة الشرقية للثكنـة حيـث يقـع مكتب الكولونيل أسكوبار ...
أحسست بثقل الملف.
تطلعت حولي ثم اتجهت عينـاي بـبطء نحـو الاسـم المكتوب عليه .... أريبل دورفمان....
لم يعن ذاك الاسم شيئا لي.
شددت من قبضتي على الملف ... ثم أكملت سيري نحو قسم المهام الخاصة.

وعند المدخل .. توقفت برهة....
باب أسود اللون .. كريه الشكل ... يزيد من قبحه حجمه المخيف.. لافتة صغيرة بحروف بيضاء
قسم المهام الخاصة
اقشعر بدني .. ووجدت نفسي أردد في صمت...
يا ألهي... خذني من هذا المكان....!

لماذا أنا في المنفي ....؟

في الأيام الأخيرة من شهر أغسطس/ آب 1973 كان المسرح
السياسي في سانتياجو تشيلي ينذر بما هو قادم. الاقتصاد الوطني في حالة انهيار شامل، إضرابات عمالية، توقف لكل المعونات الخارجية، نمو هائل في نسبة التضخم، نقص في السلع الأساسية، وانتشار للشائعات حول انقلاب وشيك بتخطيط وتدبير من الولايات المتحدة وحول السقوط المحتم للحكومة الشرعية المنتخبة. بدت سانتياجو آنذاك كمدينة في حالة نفسية قلقة وتوتر دائم.
في عام 1970 كان الطبيب سلفادور الليندي قد تولى لتوه مقاليد الحكم في البلاد كأول رئيس اشتراكي يأتي عن طريق صناديق الاقتراع. كان يحلم وثلة من رفاقه بالوصول إلى العدالة الاجتماعية عن طريق

السوسياليسمو باسيفيكا ("الطريق السلمي إلى الاشتراكية"). بهَدف الوصول إلى توزيع أكثر عدلاً لمصادرِ البلادَ و تَأميم الصناعاتِ الرئيسيةِ.
وكانت الإدارة الأمريكية برئاسة نيكسون تضع الخطط كما كشفت وثائقها فيما بعد لخلق الظروف الملائمة لزعزعة النظام ولتمهيد الطريق لقدوم العسكر على ظهور دباباتهم.
في إحدى أمسيات ذاك العام، بإحدى ضواحي العاصمة جلس الأستاذ الجامعي الشاب أريل دورفمان إلى آلته الكاتبة وراح يطبع بأنفاسه المحمومة مخطوطة ستجعل أسماً له في عالم الأدب كمثقف يساري عندما رن جرس الهاتف. أخبرته زوجته أنجيليكا وهي تلهث أن المكالمة من الرئيس المنتخب الليندي ..! . دامت المكالمة ثلاث دقائق ليتحول بعدها الأستاذ الكاتب إلى مستشار ثقافي للرئيس الجديد. يا إلهي.. ما أسرع التحولات في هذا البد. لم يكن البروفيسور الشاب يعلم أن هذه هي أول التحولات وأسهلها.....!
كان أخطر تلك التحولات ما حدث صباح 11 سبتمبر في تمام الساعة الثامنة صباحا عندما استيقظ دورفمان إلى هدير الطائرات التي كانت تحلق على ارتفاع منخفض..... انقبض قلبه بشده وهو ينظر إلى ساعته .. يا إلهي .. صاح في هلع.. أنجيليكا ... اتصلي بالقصر .. اتصلت زوجته مرارا... لا أحد يجيب ... ثم انقطعت الحرارة من الهاتف... لم يعد الأمر يحتاج إلى

المزيد من التخمين.... لقد هاجم الجيش القصر واحتل المرافق الهامة ....
سيذكر آريل فيما بعد أنه قفز خارج سريره بشكل مسعور، بَدأ باللِبس ثم أخبر زوجته أنه ذاهب للقصر.. تعلم هي أنه لا سبيل إلى إيقافه.. قررت أن تذهب معه... ذهبا معا... قطعا شارع الآميدا الذي يشطر سانتياغو... إلى ميدان إيطاليا الذي يبعد حوالي الميل عن القصر المحاصر... كانت هناك تجمعات للناس وحواجز مكثفة للشرطة.. أصوات الرصاص والقذائف تسمع بوضوح وكان المرء يرى بوضوح سحب الدخان والحرائق..انتاب التوتر والفزع رجال الشرطة و تفرقت الناس إلى مجموعات صغيرة.. أدركا استحالة الوصول إلى القصر....
ستذكر يا دورفمان ذاك النهار ..."كان بإمكاننا سمع إطلاق النار، وأنْ نَرى الناسَ يتقاذفون بحثا عن ملجأ. ولكننا لَمْ نَعْرفْ آنذاك بحجم خسارتنا – أدركنا فقط أن ثمة انقلاب يحدث. آه يا أصدقائي.. كانت تلك لحظة اتخاذ القرار المر..الحياة أو الموت.. وأي حياة وأي موت ... أفكر في بعض الأحيان.. أن ربما كان في إمكاني الوصول إلى المحاصرين لو استعملت بعضاً مِنْ الشوارع الفرعية. ربما.... ولكني لم أكُن مجنونا أو عاقلاً بما فيه الكفاية لأعْمَلُ ذلك... توقفت للحظات لأقرر.. نَظرتُ خلفي ... ثم نَظرتُ لأنجيليكا، .... وبعد ذلك نَظرتُ صوب القصر... وقرّرتُ العَيْش."

وستنظر خمسة وعشرون عاما لتقول ...." في تلك اللحظة... الحياة أرادتني ... العنف تجنبني .... التاريخ أعطاني ميلادا جديداً.. والموتُ قررَ أنْ لا يَأخذني. ".... ولكن ..لازلت حتى الآن أتساءل...هل كَانَ يجبُ أنْ أكُونَ في قصر لامونيدا مَع الليندي؟
تلك اللحظة شهدت ميلاداً جديد لك. ستذكر لأصدقائك فيما بعد.. أن تلك اللحظة غيرت كل شيء في حياتك. حولتك إلى شخص ثنائي اللغة متعدد الثقافات .. جعلت لحياتك هدفاً وحيدا ...أن تجعل قصة تشيلي وما حدث فيها مسموعا للعالم ... لن يغيب صوت المخطوفين والمذعورين والمعذبين . كتبت الراويات ، المسرحيات ، المقالات ، الشعر ، القصص القصيرة، وشاركت في الندوات واللقاءات الصحافية لترسم صورة بلد يعاني تحت وطأة دكتاتورية قاسية متوحشة تدعمها قوى دولية نافذة. بكلمات أخرى أمتزج العمل والذات والوطن ليجلبا لك شهرة لم تسعَ إليها.
ولكن ....
بين الحين والأخر ... تقتحم التساؤلات لحظات صفائك.... لماذا أنا في المنفي؟.. لماذا أنا بعيدْ؟ ... لِمَ لم أمت مثل الآخرين ؟ وستطاردك لسنوات عدة. تطاردك بلا رحمة حتى تلتقي بفرناندو فلويس الرجل الذي كان يرتب اللقاءات والاجتماعات في قصر الرئاسة..... وستسأله ليجيبك بكل بساطة..
– لقد شطبت أسمك من قوائم الحضور في ذاك اليوم ؟

- ولكن لماذا؟... ستلح بنبرات عجولة... لماذا..؟.
فيصمت دهراً.... وهو يعيد ترتيب تلك الأحداث في ذاكرته ... ويُجيب.
- "حسنا، كان لابد من أن يعيش أحد ما... ليروى ما حدث".
لقد اختارتك الأقدار لتخبر العالم أن هناك من يتحدث في تشيلي وأن عليهم الإصغاء لتلك الأصوات.

بنغازي 2006

برتقالي ....

"أنا لا أشارك أسرى جوانتنامو معتقداتهم ،
ولكنني أرفض وبإصرار معاملة حكومتي
لهم وطريقة احتجازهم الغير إنسانية . "

جيم شيدنهلم – كاتب أمريكي

تُناسبُ ..
الأصفاد..
شبابا...
شجعانا..
أما....
الأساور...
للعوانس
أو ....
الشابات...
الجميلاتِ.

مسلم دوست عبد الرحيم
شاعر حجز في جوانتنامو

عاد دوست.
لم يصدق أحدا في كل القرية نبأ عودته. لـــذا تقـــاطروا جميعا إلى بيت أبيه لرؤيته.
عاد دوست.
نحيفا ..حزينا... واجما ...زائغ النظرات. لا أحد يعلـــم لماذا ألقي القبض عليه ..وبالتأكيد لا أحد يعلـــم لمـــاذا أطلق سراحه.دوست لم يتحدث عن هذا الأمر مطلقـــا. كما أن أحدا لم يتوجه إليه بالســؤال. فقـــط تفحصـــته الأعين المذهولة . فقد الكثير من وزنه ..امتقع لونه ... وبدا شكله مختلفا دونما لحيته المعهودة. ما لفت انتبـــاه الجميع هو حذائه البرتقالي الذي ظل مرتديه حتى حين أداء الصلاة. البرتقالي لون غير معهود في القرية و لا ينسجم مع الثياب التقليدية.
أثناء الزيارات كان أبيه يقوم بشكر الحاضرين و كل من بذل جهداً من أجل عودة ابنه.
مرت الأيام... قل عدد الزوار إلى بيت آل دوست... و شيئا فشيئا عادت الحياة إلى سوابقها. عاد دوست إلـــى العمل في حقل أبيه والى كتابة الأشعار ...والى الجلوس طويلا عند نبع الماء. شيء واحد ظل يلفت الانتباه إليه ..هو إصراره على حمله لحذائه البرتقالي أينما ذهب.

رسالة من (1)

عزيزتي أيمي .....

اعذريني لأنني لم اكتب لك منذ عدة أسابيع. فوضعي هنا مريع ..لا يحتمل. ..
أتذكرين حماسي للقدوم إلى هذا المكان وكيف تطوعت ...أنا الآن ابحث عن انتقال إلى إي مكان بعيدا عن هنا ... الآن صار حلمي الخروج ..الهروب ..الفرار من قلعة الموت هذه....هنا للموت بيت وقلعة... للموت طعم ولون وصوت و رائحة ...
أراه أينما سرت.
في الأحداق الغائرة ..العظام البارزة .. أللحي الكثيفة .. في الأجساد الرثة..
أسمعه في الصمت الموجع ..في اضطراب السلاسل والقيود...
تسألينني أن أصف لك المكان ...!
هنا نحن بلا ملامح ...
سجن بلا ملامح...
مساجين بلا ملامح...
وسجانون بلا ملامح ... كيف لي أن أصف لك يا أيمي..؟
أيمي ... هذا الجحيم بعينه.

أمطرت البارحة بكثافة على غير عادتها..فزاد اكتئابي .هذا الصباح سألت السرجنت وولوورث ...أن كان قد بت في أمر انتقالي ... استمع صامتا ...ثم تحشرج قائلا .."ما الذي استطيع أن أفعله لك .؟."..يا........"
"لا..شيء..لا شيء على الإطلاق"...
ثم أردف بنبرة استهزاء .."أنت من فلوريدا أليس كذلك....؟؟"
لم أرد عليه ، انطلقت نحو الباب لأسمعه يحدث نفسه بنبرات حادة ......
".تبا لهم..! لم لا يرسلون لي رجالا من وايومينج أو أريزونا".
خلال الخمس أشهر الماضية .. شاهدت تسع حالات جنون و ثلاثة حالات انتحار ... كان أغربها انتحار ذاك ..الذي كنا نسميه "الصخرة" ...قيل لي أنه لم ينطق بكلمة واحدة منذ إلقاء القبض عليه ... أخيرا انتحر ..خنق عنقه بحزام ..وانتهي أمره ..رجل مقيد بالسلاسل ..ولم يتحرك من مكانه منذ أشهر ..ويرفض الطعام ينتحر بهذه الطريقة ..ألا تجدين ذلك غريبا.... ولكن لا غرابة في الجحيم.
اعذريني لأنني لم اكتب إليك منذ عدة أسابيع.
فالوضع هنا مريع ..لا يحتمل. ..
اعذريني لأنني لم أسألك عن حالك وكيف أنت ...هل نجحت في امتحان الترقية؟ ..هل تمكنت من دفع

أقساط.البيت والسيارة..؟..وكيف أهلك والأصحاب والجيران..؟
آه..يا أيمي ... سبعة أشهر ثم نكون معا... هل حقا سنكون معا..!.لا أعلم ...
..لقد تغيرت في أشياء كثيرة ، ولكن حبي لك لم يتغير...
فقط لم أعد أطيق السكون ..والبؤس..والحزن المتيبس في العيون..
لم أعد أطيق اللون البرتقالي... لن أتمكن من أكل برتقالة واحدة ما تبقى لي من عمر....
أتساءل .....كيف لي أن أعيش في فلوريدا بعد الآن *......
قبلاتي ...وسلامي.
قبل أن أنسى...ابعثي لي صورة بقصة شعرك الجديدة ...أراهن أنها تلائمك جداً.
....

رسالة من (2)....

روزا الغالية.....

كيف أنت يا حبيبتي ..وكيف أولادنا ...كيف حال أهلي وأهلك؟.
شاهدت صوركم التي بعثتيها لي.... الشقي "جو" يبدو أطول الآن مما كان في السابق...أما الصغير ستيف فلم يتغير..شعر كثيف على رأسه وابتسامه حلوه على محياه....أما أنت ... أنت تبدين أكثر نحافة ..هل هي من الحمية أم من اشتياقك لي؟..... يا ألهي كم أشتاق إليكم ...بلغي الأطفال أنني سآخذهم في رحلة بالصحراء لأيام عدة ...ربما نصطحب معنا العم دوين ...ما أخبار ذاك السكير...! لقد اشتقت إليه والى كرشه المتهدل كشفة زنجي..!...... بلغي ذاك اللعين سلامي.
أرجو أن تهتمي بصحتك ووزنك. كيف حال القس كونراد. بلغيه كذلك سلامي وبلغيه لبقية المترددين على الكنيسة ، هل لازلت تواظبين على أخذ الأولاد معك في الآحاد. ؟
أنه خير ما تفعلين.
عزيزتي روزا....أنا هنا بخير. أحب عملي في معسكر الأسرى هذا. وأنهك نفسي في أداء واجبي. نحن هنا نؤدي واجبنا لنحميك وأمريكا من هذا الوباء ونعامل هؤلاء المرضى كما يجب. لقد ازددت احتراما لبلدي

ولديني عندما تعاملت مع هؤلاء الشياطين. كـــم أتمتـــع بالبصق في وجوههم؟ وقهر نفوسهم المسكونة بالحقـــد. لقد كلفني السرجنت وولورث بالتحقيق مع أشرسـهم ، هذا المسمى "الصخرة" ...هل تعلمين مـا جـرى لـــه ..ولكن كيف لك أن تعلمين ؟ دعينا من ذلك.

أنا فخور بدرجات جو في المدرسة ، وإن كان يضايقني عدم التحاقه برياضة ما . أقنعيه بذلك لا بد لنا مـــن أن نكون أقوياء لنحمي أنفسنا فهذا العالم كما تعلمين ملـــيء بالأشرار الذين يكرهوننا.

قبلاتي لك ..وللأولاد...وليحفظ الله بلدنا مـــن هـــؤلاء الأشرار.

....

* فلوريدا هي عاصمة البرتقال في القارة الأمريكية.

عفوا هدى.....

رمشت عيناها قليلا من حرقة الشمس فأغمضتهما.
لم تكن إغماضه كاملة.
فقط تلامست الرموش فتبدى لها طيفا من الألوان.
آه ما ألذ القدوم للبحر ..
ما أروع ضفائر الشمس الذهبية ....
وما أحلى زرقة الماء......
وما أبدع صفرة الرمال......
وما أجمل تبدل الأمواج. ألوان في كل مكان.
قالت جدتها لها "لا معنى للبحر دون امتزاج الألوان..أذهبي هناك لترسمي......فأنا أعلم عشقك للرسم ..".
أما أخيها فقد قال "غداً سأشترى لك علبة أخرى من الألوان ."..
فتحت عينيها وتأملت ..تمايل الأجساد ... أصوات الأطفال ..زقزقة ضحكاتهم...انهماك الأمهات..... شرود الفتيات...
وقفت وسارت نحو ما بدا لها كقطعة ورقة تشاكسها الرياح ...تعالى أيتها الورقة تعالي.....لن تكون بعد

اليوم باهته ..سأمنحك الحياة ..سأعطيك كل ما يشتهيه قلبك الورقي من ألوان....
.تعالي.......اقتربي... لا تخافي .
ما أجمل الألوان ....
سنرسم معا شمسا كبيرة .. تطارد المياه والأمواج اللاهثة وستحط بجسمها الضخم على صدر الرمال... ربما ستسخر رفيقاتي في المدرسة من الرسم ولكن لا يهم........
واصلت هدى اقترابها من الورقة التي أعياها الحراك.. أمسكت بها ..احتضنتها وغابت معها في لحظات من الحلم بالرسم و الألوان...
فجأة ..
دوى صفير قاتل ..
أعقبه اهتزاز مريع ... اهتز كل شيء حولها .. تمزق البشر...تراجعت الشمس وأضطرب الموج ..واصفرت المياه.. تلاشى كل شيء ....اختفى كل شيء ....
لا ألوان ..... فقط صرخة حزن ...ودماء.

....

عفوا هدى
لا ألوان...
فكل ما لدينا باهت...
أشعارنا ..

أنوارنا ..
شمسنا ...
صدقنا ..
كذبنا ..
زعمائنا ..
كتابنا ...
كل ما لدينا باهت...
فمنذ قرون..
منذ قرون...
تم حجب اللون عن كل العيون...
....

عفوا هدى..
فمنذ قرون ...
ونحن ننسج بالأشعار أسمال الهزيمة...
منذ قرون...
لا نمارس خيرا أو رذيلة...
منذ قرون
ونحن في كهف نيام....
لا حربا نخوض... .
و لا نحن نحيي السلام ..
....

آه ... هدى

لو كانت الأحجار
لدينا...
لبادلناهم ...
غارة بغارة...
حزنا بحزن....
سطرا بسطر....
وعذابا .. بعذاب...
ولكنها ...
أحجار لعينة ...
تعشق الأرض .....
إن اقتلعناها..
صارت ...
في أيدينا ... تراب.
....
عفوا ... هدى
لا ألوان لدينا..

هدى طفلة فلسطينية فقدت كامل أسرتها على شاطئ غزة اثر سقوط قنبلة من المدافع الإسرائيلية.

أصفـــــــر........

اللون أبيض . الشعر أصفر . والاسم زينب.
تتهادى أراها.....فيتبعثر قلبي.
الوجه بدر ..العيون خضر.. والاسم زينب
تسكن حارتنا ..وقلبي.
لا تعير أحدا اهتماما. " أمها انجليزية"....قـال احـد
الجيران عندما سألته عنها.
"كانت عايشه معانا هنا .. فجأة سافرت وسابت البنـت
لأبوها .. ما أنت عارف الانجليز... !!!!!!!.."
صاحب البقالة قال وهو يغمز بعينه ... "أمها من يهـود
مصر اللي راحوا ... إسرائيل.."
.....
بيتهم بالناصية.
فيلا قديمة متربة تطوقها أشجار كثيفـة..سـور عـالي
وهدوء قاتل.
تأملتها طويلاً.. لا شيء ....سوى نباح كلب بين الحين
والأخر...ورائحة شجر الياسمين
ما أعذب الياسمين.
في الليل ... نور وحيد أصفر متهالك...

لا أصوات ..لا زوار ......
فقط ..شعر اصفر وحيد يتهادى ...
"أبوها كان باشا ...أممت الثورة كل أموالـــه فـــأعتزل الحياة.. عايش مع بنته وكلبه".
لا أذكر من قال ذلك ....
.....
استوطن الحزن عيوني..
وقلبي ..عانقه عذاب.
شعرها تعانقه شمس ...
وثغرها ... كان العذاب.
ترصدتها ..
خرجت لأراها... ومضة في العيون .. تلهف..ارتبـــاك ...حيرة ...
قالت لي الجارة .."يا أبني دي عمرها ما كلمت حـــد.. سيبك منها"
.....
عشقت اللون الأصفر....
حجرتي صفراء...
حذائي أصفر..
قميصي أصفر...
صاحبي أصفر...
قهوتي صفراء...
أمي قالت .. " أنت وشك أصفر كده ليه.."
عانقتها وقبلت يدها الصفراء.

.....
غرفة مستطيلة ضيقة تضيئها أنوار عدة وتعج بأطياف
...
همهمات ...أصوات ..وشوشات
تقترب ...تتلاشى...
سواد .. بياض...أضواء.....همس ...دعاء....
يقترب .. يتلاشى...
عيناي متعبتان...
باعدت جفوني بتثاقل...
أطياف حنونة تهتز أمامي..... مستتي أيادي..
لامسني صوت هامس كحفيف أوراق الشجر .....
"الحمد الله يا أبني .. أنك فتحت عيونك..."
أمي .... !......
" ربنا رحمته كبيرة .. دا أنت بقالك أسبوع ..
في حمى رهيبة .. لا تنطق سوى ... زينب
زينب...
...زينب."
لملمت ذاكرتي أشيائها....
أصوات ..صور ..تقترب ..تتلاشى ..
..كنت في طريقي للجامعة ..
عرجت على السيدة زينب ..
أطلت البقاء...
صليت كثيرا..
دعوت كثيرا....

خرجت ..
زحام هائل ..ضجيج لا ينتهي.. سيارة قادمة ..
صوت فرامل قاسي..
سقوط على الأرض
صرخة ...ألم ...
أصوات.... ..صور.. لم تقترب ..تلاشت.
تلاشى الكون بأسره..
وبقى طيف أصفر..
ورائحة ياسمين.

القاهرة–2006

عيون الكبرياء

مهداة إلى روح السيدة كوريتا سكوت

كينج العظيمة.

بابا "جو"....

شدني من يدي ونحن نعبر شارع التلغراف بجوار جامعة بركلي الشهيرة . وقال ."تعال معي ..سأعرفك هذه المرة على بابا جو.. أنه ليس بعيدا عن هنا ...لن تندم لمعرفته"...

أمام دكانة صغيرة لبيع المواد الغذائية كان ثمة رجل أسود يرتدي نظارة سوداء كبيرة الحجم من النوع الشائع آنذاك. ابتسامة واسعة دافئة ارتسمت على وجهه وهو يرحب بنا. تحدثنا قليلا ثم دخلنا لنبتاع بعض الأغراض. لم يكن ثمة ما يميز هذه الدكانة عن غيرها من المحلات الصغيرة سوى وجود بابا جو الضرير

الباسم الحلو الحديث والشغوف بالعرب....و..وجود صورة كبيرة تزين احد الجوائط وتجمع بين بابا جو ورهط من القادة السود لحركة الحقوق المدنية .أتذكر الآن منهم ... أندرو يونج. .. جيسي جاكسون .رالف ابيرناثي.. وآخرون..صفين من الرجال....تتوسطهم امرأة سمراء وقور .ذات ابتسامة فاتنة وشعر أسود طبيعي التجعيد...... لها عينان تشعان أنفة وكبرياء...

– من هذه المرأة .. سألت رفيقي ..

فرد قائلاً .. إنها زوجة مارتن لوثر كنج .. أنها كوريتا سكوت كنج.

....
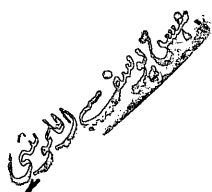
أنت زوجتي .....!

نظرت إليه عبر الطاولة هما يتناولان العشاء معا ، المطر ينهمر بشدة في الخارج وهي يسودها الارتباك والخجل ، قالت لنفسها " هذا القس لن يكون الرجل المناسب لي فهو يبدو قصير القامة وعديم الإثارة " .. أما هو فبادلها النظر بتمعن وهدوء وتحدث بصوت جذاب عن حياته وأحلامه وطموحاته ...قالت فيما بعد لأحدى صديقاتها " يا ألهي كلما تحدث هذا الرجل ..

كلما ازدادت أفتتانا به .. يبدو لي الآن ..صادقا جـــداً و بليغا جداً.... يا له من عقل....!".
بعد العشاء انطلقا نحو المعهد الذي كانت تدرس به ... كسر السكون وهو يقول .."أتعرفين ... أتعـــرفين أنـــك تملكين كل ما كنت أرغب في العثور عليه في امرأة؟ " .. اتسعت عيناها من الدهشة فردت قائلة .."يا إلهي أنت بالكاد تعرفني"... فقال" الأشياء الأربعة التي طالمـــا حلمت بأن تمتلكها زوجتي ... هي جميعا لديك ...الخلق والذكاء والشخصية والجمال... أتعرفين!"
- ماذا ..
- ستكونين يوما ما زوجتي..!

شهر عسل لدى حانوتي...!

في قيض شهر يونيو من العـــام 1953 كـــان بيـــت آل ســـكوت غـــاص بالضـــيوف الـــذين ارتـــدوا أزهـــى ملابسهم..وعبقوا البيت بالروائح الجذابة. السرور كـــان طاغيا..فـــاليوم ســـتزف العزيـــزة كوريتـــا لزوجهـــا مارتن...لم يكن أحد من هؤلاء القادمين لحضور عقـــد القرآن ولا العروسة ولا أب العروس الذي كان يسير بها بخطوات وئيدة على أنغام الموسيقى ليســـلمها إلـــى زوجها حسب مراسم الزواج يحلـــم أن هـــذا الشـــاب

الممتلئ ذو العينين البراقتين سيحفر أسمه في التـــاريخ وسيقود أمته إلى الخلاص من رق العنصرية.
ولكن كانت لذلك القس الشاب الذي يدرس الــدكتوراه بجامعة بوسطن أحلاما تسع الكون كله وتســع بــالطبع زوجته الشابة السمراء التي ولدت في بيري كاونتي فى ولاية الآباما حيث كانت سياسة الفصل العنصري بــين السود والبيض تمارس بتعصب وتطرف شديدين.
بعد مراسيم الفرح أنطلق العروسان ليقضيا شهر العسل في بيت صديق لهم كانت مهنته حانوتي .. آنذاك ..كان الحصول على غرفة في فندق من الأمور الغير مسموح بها للسود...... علق كينج مازحا..." ها نحن نبدأ حياتنا الزوجية من حيث اعتاد الآخرون على إنهائها ....هــذا يا عزيزتي .... يدل على أن حياتنا معاً... ستكون حياة غير عادية ".
..وغير عادية كانت ....

صوت الناس...

منذ صغرها وهى تعلم بجمال صــوتها . غنــت فـــي الكنائس والمدارس وحفلات العائلة . كـــان حلمهـــا أن تكون مغنية ذات مؤهلات وخلفية علمية عالية . .كانت تعلم أن تحقيق أحلامها لن يكون سهلا. عملـــت فـــي

صغرها كعاملة في جني القطن و كخادمة في البيوت لتنفق على تعلمها للموسيقى والغناء في مدرسة المبشرين الثانوية الخاصة. تخرجت بتفوق مما أهلها للحصول على منحة دراسية بمعهد نيو انغلاند للموسيقي . غطت باقي مصاريفها بالعمل في تنظيف المنازل وكموظفة صغيرة في شركة بيع سلع بالبريد. تلقت تشجيع من مدرسيها وزملائها مما عمق في داخلها اليقين بمستقبل زاهر في عالم الغناء والموسيقى. ولكن حياتها مع ذاك القس المناضل أسمعتها موسيقى من نوع أخر .. فمنذ اقترانها به حتى موته المأسوي في العام 1968 تحولت الهتافات والمظاهرات وأصوات الاحتجاج والاعتصامات إلى أنغام يومية تطرب لها وترددها وتحياها. فمن مدينة مونتغمري بألاباما حتى شارع فيلادلفيا بواشنطون دي سي ومن لوس أنجلوس إلى شيكاغو عاشت التفاصيل الدقيقة لنضال السود في أمريكا من اجل الحرية والخلاص من عنصرية مقيتة وغنت بصوتها الحسن التدريب أناشيد وترانيم الخلاص ، نظمت العديد من "حفلات الحرية الموسيقية" وغنت فيها، كما ألقت المحاضرات وقرأت الشعر لجمع المال لنشاطات حركة الحقوق المدنية.. ....عزفت بصوتها أعذب أنواع الموسيقى ....أحلام وأمال وانكسارات الناس.

من أين له هذه السكينة..؟

كان التوتر يبدو واضحا في وجوه المتظاهرين القلة ..الذين كانوا يجوبون أحد أحياء البيض ..ولكن الإعياء لم يحول بينهم وبين الغناء مطالبين بإنهاء الفصل العنصري وبالحقوق الكاملة للسود... كانت أفواج من البيض تطوقهم ... الشتائم واللعنات تنهمر عليهم ..تفترسهم عيون حاقدة وتتوعدهم الأيدي والوجوه.. كان مارتن في المقدمة كعادته تؤازره كوريتا وقد ارتدت أحلى ثيابها وعقدت شعرها في مؤخرة رأسها ... ثمة توجس وريبة فالحملات ضد زوجها ...قد ازدادت حدة مؤخرا بعد خروج إدجار هوفر رئيس الـ F.B.I باتهامات جديدة وعلنية له .. تأملت زوجها بطرف عينها ..و تساءلت .. يا إلهي ..من أين له هذه السكينة ..... من أين له ؟... .

قبلت زوجك ...

في صباح ربيعي تجمع حوالي 3,200 شخصاً يتقدون حماسا للمشاركة في فصل جديد من هذه الدراما التي ينسجها كينج ...وقف أمامهم .... جال ببصره فيهم ..وقال " أنكم هنا .. تصنعون التاريخ اليوم..تزرعون بشجاعتكم بذور المستقبل المضيء الذي سيراه أطفالكم

..رغما عن الحقد ..والكراهية...: ..فجأة .. أنطلق شخص ما من الحاضرين نحو كينج .. ساد الارتباك .. والهرج ..انفصلت الأيدي ..وتعثرت كوريتا وكادت أن تقع .. لملت نفسها بسرعة واستدارت في وجل نحو زوجها لترى أمرآة في منتصف العمر ... تصيح وتقول لها .. لقد قبلت زوجك .. يا سيدتي ... لقد قبلت مارتن لوثر كنج..!!." .... نظرت كوريتا إلى زوجها المرتبك باعتزاز... اقتربا ..اشتبكت الأيدي .. وتعالت الأناشيد ....

سنعود ...

لحظات قليلة التي كانت تجمعهم .. هما والأبناء الأربعة ولكن أشقها على النفس كان تلملمهم في أحد الفنادق تحت حراسة مشددة من الشرطة بعد أن قذف الحاقدون منزلهم بالقنابل وأحرقوه....منهكة ..متألمة..حزينة كانت آنذاك ... جلست على أحد الكراسي وهو تحتضن طفلها الصغير. تتساءل .. هل من نهاية لهذا الأمر ؟.. هل سينتهي هذا العذاب .؟ ..هل من جدوى..! عندما صاحت إبنتها يولاندا بأبيها الذي كانت لتوه قد أنهى مجموعة من المكالمات الهاتفية .." هل سنعود إلى بيتنا

يا أبي .. هل سنعود..؟" ضحك أبوها .. أقترب منها.. ومسد بحنو شعرها الأجعد.. وهو يقول ...
" يولاندا ..لن نعود نحن فقط .. بل سيعود كل أبناء جلدتنا .. سنعود ...لتنعمين أنتِ وإخوتكِ باللعب مع أطفال البيض والسود...سنعود"...قامت كوريتا من مقعدها وهي تحتضن طفلها وتضمه بكلتا يديها ...انطلقت نحو النافذة المطلة على الشارع .أزاحت الستارة البنية..ورأت بأم عينيها بيت كبير ممتلئ بأطفال بيض وسود وأسبان وصينيين وعرب .. أطفال يشاغبون ... يمرحون ويضحكون في سرور... أحست بذاك البيت يقترب وينتصب أمام ذاك الفندق المتواضع المحروس بشدة من رجال الشرطة......همست لنفسها حتما سنعود. ...تأملت زوجها الذي لازال يحدث يولاندا ..وشع في عينيها وهج من الكبرياء.

بنغازي 11-2005

زهر الليمون...

بعد إتمام الصلاة
خرجنا من الجامع
أنا وشيخي
كان الجو دافئاً بعض الشيء
أنسام الرياح تداعب شجرة الليمون القابعة بإصرار أمام باب المسجد.
رائحة زهر الليمون تحيي القلب.
"لقد أمطرت كثيرا هذا اليوم." كدت أن أقول لشيخي.
الذي كان ليرد " المطر بركة الخالق".
ولكنني لم أقل شيئا.
صمته المهيب يمنعني من التحدث.
اتجهنا بتمهل صوب الغرفة التي نسكنها معا.
جامعنا يقع في حي المغاربة.
يفصله عن سكنانا زقاق ضيق وطويل.
"هذه المدينة مليئة بالأزقة والبيوت المظلمة".
أحال المطر الزقاق إلى بحيرات صغيرة وجزر من الأوحال والطين.
لم تفلح السحب الداكنة في حجب قرص الشمس
ثمة ضوء يتراقص على سطح الماء .
تخيلت قاربا مقيداً بمرفأ فسيح
مفتوحٌ على بحر لا حدود له

"ما أجمل النوم على صفحة الماء".
تناهت إلي أصوات صبية صغار يتقاذفون بكرات الوحل
و رائحةِ توابل تتسلل من البيوت
ثمة خيال يتراءى من بعيد ..
اقتربنا
لمحت عيناي على عجل ملامح أنثوية
فتاة جميلة ترتدي ثيابا نظيفة ..
ابتسامة خجولة رسمت شفتاها
يدها النحيلة تلتصق بصدرها
بدت محتارة و مترددة في كيفية العبور بين الأرصفة..
....
اقتربنا
غضضت البصر...
جالت عيناي في فوضى الطريق
أوحال تتقافز وتلتصق بأحذيتنا
لازالت رائحة زهر الليمون تلاحقنا
وفجأة ...
تقدم الشيخ منها ....
مد ذراعيه لها ، وببطء وحرص حملها حتى الرصيف الأخر.
صعقتني المفاجأة ...
غاص قلبي
جف حلقي.
وارتعشت يداي

ولم أقل شيئا.
واصلنا السير بصمت...
انشغلت بحذائي الذي ازداد اتساخا
وبالأوحال التي كانت تتطايرا وتتراكم
وبعد عودتنا إلى الخلوة ...
لم أعد أحتمل
فاقتربت منه
مخترقا بصعوبة جدار الوقار الذي يفصلنا...
وقلت....
- سيدي الشيخ...
"ألا تعلم إننا نحن الزهاد لا نقترب من النساء ولا نلامسهن؟ ألا تعلم الخطر في ذلك؟"
ساد الصمت قليلا و ثقيلا..
أقترب الشيخ منى
وضع يده برقة على كتفي ، ثم قال
- أنا يا بني أنزلت الفتاة هناك.
فلم أنت..... لا تزال تحملها؟
انتابني السكون فلم أقل شيئا
إحساس مبهم سرى في وجودي
اهتزت الستارة في الركن...فاستدرت نحو النافذة
كان المطر ما يزال منهمرا ... وكانت الأوحال تزداد تراكما.
ورائحة زهر الليمون تعطر المكان.

سان فرانسيسكو 1986

أحمـــــر.....*

.....

صدئت سيوفنا في أغمادها.
فهل يُغفر لنا....
زاد انحناء ظهورنا....
فهل يُغفر لنا....
من يا ترى يَغفر لنا ..
بؤسنا .....
وشقائنا.

لا أدري سر تعلقه بهـــذه الترنيمـــة.. أو ســـر افتتانـــه بالوقوف على رأس التل الصغير المواجه لفناء بيتنـــا. ...نحيف ..طويل القامة .. أحمر الشعر... وحيدا يناجي الأشباح القابعة في رأسه ..يبدو لي من بعيـــد كشـــجرة غرست هناك، تهزها الرياح بين الحين والأخر....يظل يخطب لساعات طوال ..أراقبه وأراقب جموعه الوهمية ...وأتساءل..

ترى ما الذي يحمله عقلك يا صغيري....؟
ترى ما الذي تحمله الأيام لك....؟
آه يا أحمر......
لا زلت حين أراك .. أمد يـــدي لتـــداعب بطنـــي .... أتحسسها ...آه يا أحمر.... لازلت يا ملعون تسكنها.

كنا نعيش ببيتنا بأوماها حين حبلت بك ..ولن أنسى ذاك الحمل ..كنت أداعب بطني ككل مرة أحبل فيها..أتحسسها ..أصنع دوائر حول صرتي..أداعبك يا ملعون فكنت تداعبني أنت بقفزات قدميك داخلي ...نقرات صغيرة..ناعمة ..راقصة...ساحرة ..مثيرة... يقشعر لها بدني ..وتغمرني لحظات صفاء...هذه المرة حملي مختلف .. يقولون أن الحمل الخامس لا متعة فيه .. دعني أخبرك سرا لم أقله لأحد. ..دعني أخبرك ... كان الحمل بك أرق من نسمات الصباح ..أتعرف يا أحمر... كثيرا ما تمنيت تقبيل بطني ...كنت أبلل يدي بشفتي وأضعهما حيث أعتقد أنه رأسك ...صدقني يا مالكوم ..كنت أسمع ضحكاتك ..لم أتمالك نفسي ..فكنت أشاركك الضحك ..ونظل هكذا حتى الظهيرة ..حين تأتيني أصوات إخوتك القادمين من مدارسهم ..فأهمس لكَ بكلمات الوداع ...وأنا أعلم أنك ستصون سري...ستصونه ....كنت أعلم ذلك.

ماذا أقول لك ...كان الحمل بك ..رائعا وناعما كالديباج ..ولم يكن يصدر عنك سوى الهزات المتناغمة أو الضحكات المكتومة ... حتى كان ذاك اليوم.

....

ترقب المرأة السوداء ذات الشعر الناعم الذي يشي بدماء بيضاء أقحمت فيها... ترقب أبنها مالكوم وهو لا زال

يعتلي الهضبة ويخاطب حشوده الوهمية ...ويترنم بين الحين والآخر....

صدئت سيوفنا في أغمادها.
فهل يُغفر لنا....
زاد انحناء ظهورنا....
فهل يُغفر لنا....
من يا ترى يغفر لنا ..
بؤسنا ....
وشقائنا.

تهز رأسها أعجابا ..بينما يتوجس قلبها خيفة.... هذا عالم الرجال البيض ... ليس لنا فيه سواء الشقاء والصبر...
نعم يا مالكوم ..كنت أنت نعم الجنين ...حتى ذاك اليوم.... لن أنساه ما حييت....
ذاك اليوم...مزق سكوننا ..رعب وشر مخيفين ... صيحات حقد .. طلقات رصاص ..وصهيل خيول .... عرفت أنهم قادمون من أجل أبيك .. الكلوكس كلان ...لو لم تكن أنت ببطني لجمدت من الخوف وتيبست من الرعب..ولكنني لم أفعل.
خطوت نحو النافذة ....أزحت الستائر و تطلعت.. أنهم هم...... يرتدون أقنعة الشر والقلنسوات البيضاء.. يطوقون بيتنا ويتصايحون...أتدري ما فعلت ...؟.. لازال أبيك يتهمني بالجنون حين أذكره بما حدث.

فتحت الباب وخرجت إليهم...وقفت أمامهم أتأملهم دون وجل أو خوف .أتطلع إليهم بملء عيناي.. أتطلع إليهم ويدي تلمس بطني المكورة أمامي....

- "زوجي ليس هنا..أنا وحدي مع أطفالي ...زوجي ليس هنا "قلت لهم..

كنت كلما لمست بطني ازداد صوتي ارتفاعا ..وازددت قوة و صلابة ...كنت أحس بقدميك وهى تضغط على جدار بطني .كأنك تريد الخروج لهم ... توقف صياحهم ...لبثوا فترة صامتين...... ...تراجعوا ..ثم انطلقوا بعد أطلقوا تحذيراتهم ..وعددا من الأعيرة النارية.

ضللت واقفة حتى اختفوا عن ناظري ..بقيت أمام شرفة البيت ..وأنا كالمسحورة...!..عم السكون حولي وفجأة أحسست بوقع أقدامك داخلي يصبح ضربات غاضبة....ساخطة ..صاخبة.... متلاحقة...انتابتني الآم حادة صرخت لشدتها ...يا إلهي ..ما هذه الثورة التي تعتمر داخلي ...

أدركت أنك غاضب ...كما أدركت آنذاك أنك أيها الأحمر ..... ستكون غاضبا وللأبد...

منذ ذاك اليوم ..صرت أحمل الغضب في بطني ....

---

* أحمر هو الاسم المحبب لدى مالكوم أكس والذي كان يناديه به أصدقائه والمقربين منه . ولد هذا المناضل الفذ يوم 1925/5/19 وتم اغتياله يوم 1965/2/21.

موسوليني....!

- أتعرفون مبنى فندق قصر الجزيرة ..؟
هزت الرؤوس تأكيدها ..
واصل مدرس الاحتياط حديثه ..
- هل تعرفون لم تم تشييده..؟
هزت الرؤوس نفيها..
- ذاك المبنى تم تشييده من أجل زيارة موسوليني؟
اتسعت العيون دهشة وهي تتابعه....
- هل تعرفون من هو موسوليني؟
باغتهم السؤال....
حرج وارتباك...
طأطأت رؤوس ..احمرت وجوه .. و ضاقت أعين..
- من منكم يعرف موسوليني؟....
صمت ...
- أنت ..
أصبع توجه إلى طالب في منتصف الفصل...
- من هو ...؟
لحظات صمت مرعبة .. تجاسر بعدها التلميذ ...
- أيكون سائق في الفورمولا وان ؟....
تعابير سخط .. و إشارة يد ..واحمرار وجه.
- أنت ...
تلميذ أخر في مقدمة الفصل ...

- مخرج فيديو كليب ..!

توالت الإجابات .. بين حيرة الطلاب ..وسخط المدرس..

- أنت...

- لاعب كرة ...

- ممثل سينمائي...

- بطل رسوم متحركة ..

توقف التساؤل...

زال الهمس...

جرس الحصة يدق ...

غادر الطلاب ...

بقى وحيدا

يطالع من بعيد... مبنى فندق قصر الجزيرة.

بنغازي 5- 2005

سهــــرة عائليـــــة...

دنت أختي " مدرسة الجغرافيا " من شاشة التلفزيــون، ووضعت فوقها نموذج يمثل الكرة الأرضية..
التفتت نحونا وقالت بزهو ونبرة استعلائية.." هذا ليتذكر الجميع .. فالأرض كروية ..."
حرك أبي رأسه..
ثم قال بصوت تعمد أن يكون مسموعا لأمي.....
" هذا كلام فارغ. لو كان الأمر بيدي لمنعت الأولاد من الذهاب إلى المدرسة ".
..... رمق أمي ومد يده لتداعب ما تبقى من شواربه في انتظار ردا منها..
ولم يطل الانتظار...
" الأرض كرة .. كرة ترتاح على قرن ثــور ... هــذا شيء معروف من أيام سيدنا سليمان" قالت أمي منحازة كالعادة لأبنتها.
جدتي .. لم تقل شيء .. مدت يدها نحو " براد" الشـــاي .. وسكبت فيه قبضة من النعناع...
ثم نظرت متسائلة نحو جدي ...الذي تحــدث بصــوته الآمر ...
" .. دع عنكم هذا الهراء .. فالأرض هــي الأرض ... نُضيع العمر ونحن نلهث لشراء " إرب "... منها .. ثم يضيع العمر... فتمتلكنا هي بالمجان...".

المحتويات

عیون الکبریاء